

تلقى النقد السوسيولساني في المغرب العربي

أنيسة أحمد الحاج¹

تاريخ النشر 2017/08/01	تاريخ القبول 2017/06/01	تاريخ الإرسال 2017/05/01
------------------------	-------------------------	--------------------------

الملخص:

لقد أعادت المقاربة السوسيولسانية الاعتبار للنص الروائي ومستوياته اللغوية و جمعت بين التحليل النصي "اللساني" و الرؤية السوسيوولوجية معا، لتكشف لنا عن كيفية تفاعل النص الروائي مع القضايا الاجتماعية و التاريخية من خلال تحليل بنياته اللغوية و الدلالية و السردية ، و يتضح هذا في أعمال مجموعة من النقاد المغاربة الذين تبنوا المقاربة السوسيولسانية في نقدهم للنصوص الروائية كعبد الحميد عقار و محمد القاضي و محمد سالم محمد الأمين الطلبة .

الكلمات المفتاحية: السوسيولسانية – النص الروائي – البنية اللغوية – الحوارية – النقد المغربي.

Résumé:

L'approche sociolinguistique a remis en considération le texte romanesque à son niveau linguistique et elle a assemblé entre l'analyse textuelle(linguistique) et la vision sociologique pour nous révéler la réaction du texte romanesque avec les questions sociales et historiques en analysant ses structures linguistiques sémantiques et narratives. Comme le montre les travaux d'un groupe de critiques magrébins qui ont adopté l'approche sociolinguistique dans leurs critiques des textes romanesqu comme Abdelhamid Akar, Mohamed KADI, Mohamed Salem Mohamed Amine Talaba.

Mots clés : sociolinguistique, texte romanesque, structure linguistique ,dialoguisme, critique magrébin.

1- مرجعيات النقد السوسيولساني المغربي :

لقد استلهم نقاد المغرب العربي - الذين اتخذوا السوسيولسانيات خيارا منهجيا - مفاهيم ميخائيل باختين وبيير زيمما القائمة على الحوارية والتعددية والانفتاح ، فإقامة علاقة بين النص الأدبي وسياقه الاجتماعي عند الناقد المغربي عبد الحميد عقار - من خلال دراسته " الرواية المغربية تحولات اللغة والخطاب " – " لا ترتبط بالرؤية للعالم بقدر ما ترتبط بقدرة النص على تقديم العالم الاجتماعي باعتباره حوارا وصراعا بين مجموع لغات جماعية تظهر في البنيات الدلالية والسردية للتخييل [...] فاللغة هي التي

¹ - أنيسة أحمد الحاج

تمنح الأدب تمظهره المجرد ومادته المدركة"¹. وعبد الحميد عقار لا يدعو هنا إلى شكلائية روسية تلغي الأبعاد الاجتماعية في النص وإنما هو يعيد صياغة مفاهيم بيير زيمبا التي تنظر إلى المجتمع على أنه تركيبة لجماعات متصارعة ومتعادية تمثل في الوقت ذاته لغات ولهجات جماعية تدخل في حوار وصراع فيما بينها. لذا، فالناقد السوسيولوجي مطالب "بوضع علاقات وثيقة بين النص والمجتمع مع إظهار المصالح والمشاكل الاجتماعية على المستوى اللغوي، وهذا التصور هو الذي يسمح في النهاية بوضع الأدبي في ترابط مع الاجتماعي دون اللجوء إلى مفاهيم قبل سيميوطيقية مثل المحتوى الاجتماعي ورؤية العالم"².

ولا ينزاح الناقد التونسي محمد القاضي عن المنظور السوسيولوجي السابق في دراسته "في حوارية الرواية" فالأدب المبدع - في تصوره - ليس ذلك "الذي يلتصق بالواقع ويسعى إلى تقديم صورة له تسعى إلى أن تكون وفيّة إلى حدود التطابق، وإنما هو ذلك الإبداع الذي ينبع من الواقع ولكنه يدفع به في مصفاة الفن، فيطوره ويوظفه حتى ينأى به عن الفجاجة والسطحية ويدرجة في سياق حركية الأفكار ومسار التاريخ"³. وهو هنا، يتبنى فكرة الحوارية الباختينية حينما يجعل من الرواية نصا روائيا منفتحا وعملا أدبيا غير منجز، يحاور التاريخ والأفكار وينفتح على اللغوي والثقافي، هذا ما شهدته الرواية في تحولاتها حينما حطمت المركزية اللغوية وتخلصت من الانتماءات الإيديولوجية فهي لا ترضى بالكائن أو الممكن بل تتوق دوما إلى عالم المستحيل.

هذا ما ذهب إليه الناقد الموريتاني محمد سالم محمد الأمين الطلبة في دراسته "مستويات اللغة في السرد العربي المعاصر" حينما أكد على أن النص هو "خطاب ممكن عن الواقع، فهو لا يتفق مع مراجعه المختلفة لأن هذه المراجع تغدو في فضائه احتمالية الدلالة"⁴، ويستلهم هنا رؤية بيير زيمبا التي تجعل من البناء السردى للنص عالما متجانسا نسبيا فهو يحاكي ويعيد إنتاج الواقع و يتمثل أحيانا بشكل ضمني أو صريح مع هذا الواقع⁵.

إن تصور محمد سالم محمد الأمين الطلبة للمقاربة السوسيولوجية يبنى على مفهومين أساسيين ؛ يتلخص الأول في تبنيه لمفهوم بيير زيمبا الذي يجعل الموضوع المفضل للنقد هو الوقوف على طبيعة العلاقة الرابطة بين الدلالة والتركيب ، في حين يستمد المفهوم الثاني من رؤية الناقد سيد البحراوي التي يتجاوز فيها ثنائية الشكل والمضمون ليجعل من محتوى الشكل السبيل الوحيد للدخول إلى النص"، فنحن حين نمسك بمحتوى شكل العمل الفني مدركين من خلاله رؤية الفنان والمثل الجمالي الأعلى للمجتمع الذي يعيش فيه نستطيع أن نمسك -بدقة- برقبة الصراع الجمالي الاجتماعي الدائر في المجتمع في تلك اللحظة [...] فليس ثمة شكل ومضمون، لأن المضمون ليس إلا مضمون الشكل وليس ثمة نص وسياق لأن النص سياقي واجتماعي وليس ثمة داخل وخارج، لأن الخارج كامن في الداخل ولأننا حين نحلل الشكل/ النص فإننا نحلل في الوقت ذاته المضمون الاجتماعي لأن هذا الأخير كامن في الأول وجزء لا يمكن أن يفصل عنه "⁶.

إن الناقد السوسونصي يدعو لإلغاء كل الأحكام القبلية الجاهزة التي انبنت عليها الاتجاهات السوسيولوجية السابقة، واستبدالها بمدخل سوسيولوجي يسعى فيه الباحث لتفكيك مستويات النص

والوقوف على طبيعة العلاقة التي تربط الدلالة بالتركيب، مؤسساً أطروحته النقدية على نظريتين متكاملتين وهما:

أولاً: لا يمكن للقيم الاجتماعية أن تستقل عن اللغة، وبالتالي فنقطة الانطلاق لدى الناقد هي البنية النصية للوصول بذلك إلى البنية الاجتماعية.

ثانياً: الوحدات المعجمية والدلالية والتركيبية تجسد مصالح جماعية ويمكن أن تصبح مراهنات لصراعات اجتماعية واقتصادية وسياسية.⁷

وهذا ما أشارت إليه جوليا كريستيفا التي استفادت من مفاهيم ميخائيل باختين حول الحوارية فطورت دراستها عن التناص لتجعل النص الروائي ذا توجيه مزدوج "نحو النسق الدال الذي ينتج ضمنه (لسان ولغة مرحلة ومجتمع محددين) ونحو السيرورة الاجتماعية التي يساهم فيها كخطاب"⁸، ويبدو أن محمد سالم محمد الأمين الطلبة قد استفاد كثيراً من دراسات جوليا كريستيفا حول علم النص والتناص فهو يجعل من الصياغة الروائية التخيلية "عملية تناصية أي امتصاص من قبل النص للغات الجماعة والخطابات الشفهية أو المكتوبة السائدة في نص الواقع أو تلك من المتوقع أن تسود"⁹، وهو في الوقت ذاته لا يحيد عن المنظور السوسيونصي الذي يجعل من عالم التخيل مساراً تناصياً يستوعب النص الأدبي من خلاله اللغات المتعددة والخطابات الشفهية والمكتوبة.

2 - ماهية الخطاب الروائي في المنظور السوسيولساني:

تقوم سوسيولوجية النص على أطروحة نقدية جديدة تجعل من النصوص الأدبية المتخيلة نتاجاً لعمليات التمثيل والامتصاص والإستيعاب لتجمعات وأيديولوجيات مختلفة ومتصارعة تدخل إلى النص بوصفها نصوصاً وخطابات، ليتم تحويلها إلى مجموعة أحاديث ولغات جماعية.

ومن هنا ، يصبح الخطاب الروائي في النقد السوسيونصي خطاباً غير قابل للاختزال في أبعاده اللغوية وفي دلالاته الاجتماعية لأنه "مزدوج الشفرة أو التسنين فهو يحقق اتئالفاً بين المادة النسقية التي تمثلها اللغة الطبيعية والمادة الخارجة عن النسق والخارج – لغوية والتي تتمثل في السنن الثقافية والمعايير الاتفاقية والتقاليد الأدبية الموروثة أو المكرسة والأيديولوجيا المندمجة في البنية اللغوية"¹⁰. فاللغة عند عبد الحميد عقار هي بؤرة التجديد ونواته الأساسية و عامل مهم في تحولات الخطاب الروائي وتطوره "فالتجريب وتكسير الخطية وأحادية الصوت والخطاب يمس اللغة والشكل الروائيين على السواء فيطبعهما بالتجديد والتنوع وبالتوالد والتشذر وتلاشي الحدود بين الأجناس وتعدد الدلالات والرؤى المحتملة وتحل لذلك مغامرة الكتابة محل كتابة المغامرة"¹¹. وهنا، يستحضر عبد الحميد عقار مفاهيم ميخائيل باختين حول الحوارية والتعدد اللغوي، فالخطاب الروائي نص وفضاء مفتوح وعالم متعدد الأبعاد والدلالات، كما أن فقدان الخطاب الروائي لخطيته سيجعله مجالاً لاختراقات متعددة وملتقى لعلامات مختلفة، ويستعين عبد الحميد عقار برؤية الباحث السيميائي

"فلاديمير كريزنسكي Wladimir Kryszinski" التي تتقارب مع التصور الباختيني خاصة في تأكيده على أن تطور الشكل الروائي يرتبط بسلسلة التموجات والتحويلات والتعاقدات المتشابكة التي تلغي السيرورة الخطية¹².

وانطلاقاً من مفاهيم فلاديمير كريزنسكي يؤسس عبد الحميد عقار دراسته على فكرة محورية وهي أن التطور الروائي يكون مدركاً حينما يكون هناك تحيين لثلاثة قوانين هي: قانون التكرار وقانون التشبع وقانون التحول، فالنص الروائي يكون تكرارياً حينما يكون مقيداً بنفس التشكلات التيمية والشكلية المتداولة، ويكون متشبعاً إذا عجز عن إبراز السمات الأسلوبية المكررة باعتبارها علامات خلافية، ويصبح تحولياً عندما يفرز تشكلات تيمية وشكلية جديدة تقف بعيداً عن تلك التي يعيد الخطاب الروائي إنتاجها في فضائي التكرار والتشبع

13

لقد حاول عبد الحميد عقار التوفيق بين مفاهيم ميخائيل باختين وبير زيماء وكريزنسكي التي تختلف في نقاط عديدة، ولكنها تتقاطع فيما بينها حول فكرة جوهرية تجعل من الخطاب الروائي بؤرة مشحونة بالأيديولوجيات والدلالات والقيم التي يعبر عنها الكاتب وشخصياته.

وخلافاً للتركيب المنهجي السابق، يتبنى محمد القاضي مقارنة أحادية تنبني على فكرة الحوارية الباختينية التي يستمد منها تصوره للخطاب الروائي بقوة الرواية وضعفها في آن واحد " يتمثلان في كونها جنساً بلا قانون من جهة، وفي احتوائها سائر الأجناس المجاورة لها من جهة أخرى، وهو ما يطلق عليه صفة الحوارية التي تجعل الرواية جنساً إمبريالياً، أكلاً كل ما يعترض سبيله، ولعل هذه السمة هي التي جعلت الرواية أقدر الأجناس على تصوير التعقيد الذي بلغته الحياة العصرية والتعدد الذي أصبح القيمة الرئيسية فيها"¹⁴.

ولكن هذا لا يعني أن الخطاب الروائي هو تجميع للأجناس الأدبية، وإنما هو صياغة تركيبية تتداخل فيها الأنماط والأصوات المتعددة لتشكيل تركيباً لغوياً وأسلوبياً يميز الجنس الروائي عن غيره من الأجناس الأدبية الأخرى، هذا ما أشار إليه محمد القاضي في قوله: "هذا لا يعني أنها مصب لهذه الأساليب واللغات والأصوات التي تجتمع فيها، وإنما هي على العكس من ذلك بوتقة تنصهر فيها هذه العناصر التي لا تنقطع عن سياقها الأول، ولكنها تضطلع في الرواية بوظيفة تركيبية جديدة وتقوم بينها وبين العناصر الأخرى علاقات تضيف على وجودها أبعاداً لم تكن لها في وضعها الأول."¹⁵ وهذا ما يجعل منها رواية بوليفونية متعددة اللغات تسمح بعرض جميع التصورات والأفكار بصورة متكافئة، يلتزم فيها السارد بالحيادية، فوظيفته لا تتعدى حدود تنظيم العلائق الحوارية المتبادلة بين اللغات والأجناس التعبيرية.

إن الرواية عند ميخائيل باختين هي النوع الأدبي الوحيد الذي لا يزال في طور التكوين والذي لم يكتمل، فهي تسخر من بقية الأنواع وتفضح الطابع المصطنع لأشكالها ولغتها، هذه المنطلقات الفلسفية اللسانية التي تبناها محمد القاضي في بداية دراسته سرعان ما تخطى عنها في إحدى مقالاته ليستبدلها بالمنطلقات الفلسفية التاريخية عند كل من لوكاتش وهيغل، ويتجلى لنا ذلك بوضوح في تحديده لأوجه الاختلاف بين القصة القصيرة والرواية في قوله: "القصة القصيرة مدارها على اللقطات الخاطفة والمواقف العابرة والنماذج الشاذة

والشخصيات الهامشية، ومن ثم فإنها الجنس الأكثر تعبيرا عن الانعزال والانطواء والفردية، أما الرواية فجنس حضري أساسا، إنها الجنس الأكثر تعبيرا عن المدينة وما يعتمل فيها من أحداث وما يعمرها من شخصيات ولذلك عدها لوكاتش ملحمة البورجوازية¹⁶، وهو التصور الذي رفضه ميخائيل باختين الذي حاول أن يجد جذورا جديدة للرواية في أشكال الثقافة الشعبية وبعض النصوص الإغريقية والرومانية القديمة وروايات العصور الوسطى متخليا بذلك عن الشروط المجتمعية والتاريخية التي وضعها كل من هيغل وجورج لوكاتش. والملاحظ أن محمد القاضي يؤسس دراسته هذه على بعض المفاهيم الأساسية التي يقوم عليها الخطاب الروائي عند "ميخائيل باختين" الذي سبق له أن حدد ثلاث خصائص أساسية تميز الرواية بصورة جذرية عن غيرها من الأنواع ويمكن تلخيصها في:

أولا: امتلاك الرواية لخصيصة ثلاثية الأبعاد على الصعيد الأسلوبي متصلة بالوعي المتعدد اللغات الذي يحقق ذاته في الرواية.

ثانيا: التحول الجذري للإحداثيات الزمنية الخاصة بالصورة الأدبية في الرواية.

ثالثا: المنطقة الجديدة من بناء الصورة الأدبية التي أدخلتها فيها الرواية أي تلك المنطقة التي يحدث فيها أقصى تماس مع الراهن (الواقع المعاصر) المتحول غير القابل للتحديد.¹⁷

أما محمد سالم محمد الأمين الطلبة فيزواج بين التصورين اللوكاتشي والباختيني في مفهومه للرواية فهي " بوصفها ملحمة العصر الراهن أثبتت أنها الأقدر بفضائها وأسلوبها على امتصاص جميع الخطابات واللغات والأيديولوجيات، هذا إضافة إلى أن الروائي مرشح أكثر من غيره لالتقاط تناقضات الراهن وربطها بعلمها الماضية وتداعياتها المستقبلية، وهو بفضل مكانته وبسببها لم يعد شخصية سلبية، بل فاعلة منفعة لها آراؤها في حل القضايا التي تشغل الرأي العام¹⁸، ولكن قراءتنا المتأنية لتصوره السابق تكشف لنا أن محمد سالم محمد الأمين الطلبة تجاوز المفهوم الباختيني والتزم بمفاهيم بيير زيمما حينما أكد على الوظيفة الأيديولوجية للنص الروائي، فالنص الروائي عند ميخائيل باختين، بالرغم من كونه مشحونا بإيديولوجيات مختلفة ومتصارعة، فإنه لا يتخذ في النهاية موقفا أيديولوجيا، وهذا ما رفضه بيير زيمما الذي أصر على الدور الأيديولوجي للخطاب الروائي وأثره في المجتمع.

ج- تجليات النقد السوسيولساني:

لا يمكن لأدب قائم على التعددية والتفاعل والحوار والانفتاح أن يرضى بنقد أحادي تقليدي لا يجرؤ للدخول إلى النص، أو أن يكون حبيسا للمقاربات الشكلانية التي تفصله عن أبعاده الدلالية، لذا فالرواية لم تكن جنسا أدبيا تقليديا فهي لا ترضى بالمقاربات التقليدية، وإنما تسعى لأن تكون محاطة بمناهج عديدة تعمل على إثرائها وتكشف مكنوناتها. هذه القناعات الفكرية شكلت لدى الناقد السوسيونصي تحديا معرفيا خاصة في ظل التحولات السريعة التي يشهدها الخطاب النقدي بمناهجه المختلفة والخطاب الروائي بانفتاحاته المتعددة على أزمنة الماضي والحاضر والمستقبل.

وللإجابة عن كيفية اشتغال اللغة ضمن السياقات اللسانية والثقافية والاجتماعية، استفاد الناقد السوسيونصفي من السيميائية والبنوية والتحليل النفسي ونظريات القراءة، كما جمع بين النقيضين التوجه الشكلي المنغلق على اللغة والمنهج الاجتماعي الجدلي، واستجابة لخصوصية النص الروائي المزدوج الشفرة واللغة، استعان عبد الحميد عقار بمفهوم خاص للشعرية ينأى به عن النزوعات الأيديولوجية ويتجاوز فيه حدود الدراسة الشكلية لربط النص بسياقاته الخارجية لا بحجة الوصول إلى رؤية العالم ولكن بغاية الوقوف على البنيات السردية والدلالية والخطابية المحملة بالشحنات الأيديولوجية فهو يدرس شعرية اللغة الروائية من زاويتين متضافرتين "زاوية كونها تجريدا للخصائص البنيوية أو الملامح اللفظية الملازمة والمنتجة لأدبية النص الروائي، ومن زاوية أن اللغة ملفوظ اجتماعي ملموس ألفاظه وتراكيبه تعيش وسط الفضاءات الشاسعة للساحات العمومية والأزقة والمدن والقرى والفئات الاجتماعية والأجيال والحقب"¹⁹.

إن المقاربة النقدية عند عبد الحميد عقار لا تقوم على أسس الأسلوبية التقليدية التي ألغت البعد الاجتماعي في الخطاب الروائي، وإنما تتأسس على أسلوبية جديدة تتجاوز حدود البلاغة القديمة والوصف اللساني المجرد، لذا فهو لا يدرس شعرية اللغة الروائية من زاوية "تيزفيتان تودوروف Tzvetan Todorov" التي تعنى "بالخصائص المجردة التي تصنع فرادة الحدث الأدبي أي الأدبية"²⁰، وإنما يستعين بمفاهيم الشعرية الباختينية التي تقارب الخطاب الروائي من منطلق أنه كلام مشحون بالأبعاد الأيديولوجية والسياقات التاريخية لأن "بنية التحدث بنية مجتمعية محضة"²¹، وهو بهذا يعود إلى دراسات كل من ميخائيل باختين و "يوري لوتمان Youri Lotman" و "أوزبنسكي Ouspenski" وتنظيرات بيير زيمما التي وجهت نقدا صارما للبنوية والشكلانية وساهمت في تعميق فكرة حوارية النص الروائي "فالنص ليس هو موضوع الشعرية، بل جامع النص أي مجموع الخصائص العامة أو المتعالية التي ينتمي إليها كل نص على حدة"²².

وللوقوف على جوانب التطور والتحول في الخطاب الروائي سعى عبد الحميد عقار للمزاوجة بين "التحليل الشعري ذي المسعى التنظيري والعام وبين التحليل النقدي ذي المسعى الإمبريقي والاستقرائي"²³، كما جمع بين مفاهيم وتنظيرات كل من بيير زيمما وميخائيل باختين ودراساته حول الحوارية والخطاب الروائي ككتابه "الماركسية وفلسفة اللغة" و"شعرية دوستوفسكي" ومقاله الشهير عن الملفوظ الروائي.

أما دراسة محمد القاضي فتضم مجموعة من المقالات النقدية، كتبها على فترات متباعدة وألقاها في مناسبات وملتقيات مختلفة، ولكن ما يجمعها هو مبدأ وأساس فلسفي واحد يتجلى في مبدأ الحوارية الباختينية لأنها - في منظوره - هي المفتاح الأساسي للولوج إلى النص والوقوف على طريقة تفاعل عناصره، وهو بهذا يستبدل مقولة انغلاق الأثر الأدبي بمقولة الأثر المفتوح على النصوص والقوانين الاجتماعية والاقتصادية والأيديولوجية لأن "العنصر اللغوي يحمل آثار تلك النظم والأنساق حيثما تحرك، إلا أن ما يتصف به من استقلالية ومرونة يجعله قادرا على الاضطلاع بوظائف أخرى وتلبس دلالات جديدة تتكون له من الجدل المستمر بين سياقه الأصلي وسياقه الجديد"²⁴.

وتنبني مقارنته النقدية في مقاله " الكتابة عند المسعدي ومسألة الأجناس " على مسألتين: الأولى نظرية طرح فيها نظرية الأجناس الأدبية وأثرها في النقد، والثانية تطبيقية سعى فيها إلى دراسة نصوص المسعدي وكيفية تحقق مقروئيتها.

وإذا كان محمد القاضي قد وفق في اختيار متن روائي متعدد المستويات اللغوية والصوتية، إلا أن المساحة المخصصة لكل مقال نقدي كانت سببا أساسيا في سطحية المقاربة النقدية التي اقتصر فيها على بسط أفكاره النظرية، فافتقرت الدراسة بذلك إلى بعدها الإجرائي والتطبيقي نتيجة وقوف الناقد عند البناء الخارجي للعمل الروائي واكتفائه بالحديث عن مستوياته السطحية دون اللجوء إلى أبعاده العميقة أو الكشف عن آليات النصية وكيفية تفاعلها وإشتغالها في النص، هذا ما جعل دراسته دراسة انتقائية تجلت لنا بوضوح في مقارنته النقدية لرواية " التبيان في وقائع الغرب والأشجان " لفرج الحوار، هذا ما أشار إليه في قوله " ولئن كان منهجنا في المعالجة انتقائيا فإن مرد ذلك إلى ضيق الحيز الذي يندرج فيه عملنا، ذلك أن رصد الحوارية لا تغني فيه قراءة النص في أقسامه الكبرى وإنما يتطلب النفاذ إلى حقائق النص وتفاصيله ²⁵، إلا أن هذه الانتقائية والسطحية في المعالجة لا ترتبط فقط بدراسته للرواية السابقة، وإنما شكلت سمة رئيسية لمعظم مقالاته النقدية التي احتوتها هذه الدراسة، ومن هنا يجب الإشارة إلى أن " ما يميز الناقد عن القارئ العادي هو اتساع المجال التناسلي الذي يطرح الناقد العمل في أفقه عن ذلك المجال الذي يتعامل معه القارئ وكذلك حيوية العنصر الحوارية فيه، وهو عنصر يزداد ثراء كلما زادت قدرة الناقد على استقراء البدائل المحذوفة والافتراضات المنفية التي يفرضها النص أو بالأحرى ينطلق من المصادرة عليها " ²⁶.

أما محمد الأمين الطلبة فيسعى في دراسته إلى الوقوف على عنصر من عناصر التناسل، وهو المستويات اللغوية التي يتم من خلالها تشكيل المضمون الفني السردي في النص الروائي العربي المعاصر، فالمستويات اللغوية هي " الأطر القولية التي عبرها ومن خلالها صيغت المادة القصصية، وتم التعامل مع (الكلام الأجنبي) وغيره من عناصره التناسل. " ²⁷.

ويتبنى محمد الأمين الطلبة الخلفية الباختينية المزدوجة في جمعه بين الخلفية العبر لسانية أي التداولية التي تتبنى معطيات التحليل التاريخي للمجتمع والخلفية النقدية السيميائية التي تسعى إلى تشريح العلاقات الداخلية والخارجية للعمل الروائي وذلك في إطار تحليل سوسيولوجي لأشكال التعبير. لذا يتخذ محمد الأمين الطلبة القراءة العلامة الدلالية مدخلا لقراءته، وهذا ما يتضح لنا في قوله: " مدخل علامي دلالي، يهدف إلى التقاط الشفرات الكبرى للنص محاولا ربطها بالمضامين الكبرى للرواية وهي مضامين سعينا إلى ربطها بنص الواقع، اقتناعا منا بأن النص لا يبدع من فراغ وإنما يحمل رسالة ويخاطب معينا ويتوسل إلى أهدافه (بلغة) هي في حد ذاتها رؤية للعالم وتصور لما ينبغي أن يكون عليه " ²⁸. كما ينفي الناقد الطابع اللغوي الصارم عن دراسته مستلهما في ذلك موقف باختين ورؤيته في كتابه " شعرية دوستوفسكي " الذي أشار فيه إلى أن تعامله مع اللغة سيكون في جوانبها المادية الملموسة والحية وليس اللغة بوصفها مادة نوعية خاصة بعلم اللغة.

وعلى الرغم من أن محمد الأمين الطلبة يستلهم الكثير من أفكار الناقد المغربي سعيد يقطين في كتابه "انفتاح النص الروائي" فإنه لا يأخذ بمفهومه للنص وأوجه الاختلاف التي حددها في دراسته بين النص والخطاب، مبررا ذلك باختلاف الآراء وتداخلها حول مسألة النص/ الخطاب، حيث يقول في هذا المضممار "والعدول في العنوان عن النص والخطاب إلى اللغة له مبرراته المنهجية التي نريدها مسوغا لتناول أهم المظاهر الحوارية والتناصية في الروايتين، فمصطلح اللغة الروائية أصبح محل اهتمام الدراسيين يلجأ إليه بعضهم رغبة عن مفاهيم النص والخطاب لما قد يفتحانه من مجالات خلافية مبعثها عدم دقة المفهوم وغياب الإجماع على تعريفه" ²⁹، بيد أن اختياره لمصطلح اللغة بدلا من مصطلحي النص والخطاب لم يكن تجاوزا لنقاط الخلاف فقط وإنما لكون اللغة هي الحاضنة للنصين الإبداعي والنقدي ورغبة منه للكشف عن توجهه النصي في الدراسة "فتعريفات النص إذن خاصة منها تلك التي تتبنى رؤية علامية حوارية تأويلية هي التي ستكون الموجه للقراءة" ³⁰.

ويتبع محمد الأمين الطلبة المسار ذاته الذي نهجه سعيد يقطين في انتقاله من السرديات إلى السوسيو سرديات ومن اللفظي إلى الدلالي وهو بهذا يتجاوز الحد السكوني الذي تقف عنده السرديات إلى مقارنة دينامية للنص الروائي، هذا ما يتضح لنا في تحديده لمعالم منهجه النقدي في قوله: "نتبنى طريقة السرديات التوسيعية العامة في الجوانب المتعلقة بانفتاحها وبحثها الدلالي التناصي، فمنهجنا هذا هو بعبارة أخرى، عدول عن اللفظي إلى الدلالي وعن الالتصاق بالروائي والمروي له إلى آفاق القارئ ونصوصه المغذية وعن المظاهر النحوية الإرسالية إلى المظاهر الدلالية الإنتاجية، محاولين في كل ذلك الاعتدال والأخذ من الآليات الخارج والمزاوجة بين الدلالي والتداولي دون الإهمال التام للنحوي" ³¹.

إن المقاربة السوسيو لسانية هي مقارنة تجمع بين السياق و النسق وبين الشكل و المضمون ولكن صعوبتها تكمن في خصائصها فهي تنفتح على مناهج ومعارف متعددة ، وهذا ما يشكل عائقا أمام الناقد الذي يتخذها خيارا منهجيا .

الهوامش:

¹ - عبد الحميد عقار: الرواية المغربية " تحولات اللغة والخطاب " - شركة النشر و التوزيع المدارس- الدار البيضاء-المغرب - ط.1-2000 - ص: 79، 80.

² - بيير زيماء: النقد الاجتماعي- ترجمة: عايدة لطفي- مراجعة أمينة رشيد و سيد البحراوي - دار الفكر للدراسات و النشر و التوزيع - القاهرة- ط.1-1991 - ص: 192.

³ - محمد القاضي: في حوارية الرواية " دراسة في السردية التونسية " - دار سحر للنشر و التوزيع - تونس - د.ط-2005- ص: 58.

⁴ - محمد سالم محمد الأمين الطلبة: مستويات اللغة في السرد العربي المعاصر "دراسة نظرية تطبيقية في سيمانطيقا السرد"- مؤسسة الانتشار العربي- بيروت- لبنان - ط 1 - 2008 - ص: 35.

⁵ - ينظر بيير زيماء: النقد الاجتماعي- ترجمة: عايدة لطفي - ص: 175.

⁶ - سيد البحراوي: محتوى الشكل في الرواية العربية " النصوص المصرية الأولى " - الهيئة العامة للكتاب - مصر - د.ط-1996- ص: 25.

- ⁷- ينظر بيير زيماء: النقد الاجتماعي – ص: 177، 178.
- ⁸- جوليا كريستيفا: علم النص – ترجمة: فريد الزاهي - مراجعة عبد الجليل ناظم - دار توبقال للنشر - الدار البيضاء - المغرب – ط.2 – 1997-ص:10.
- ⁹ - محمد سالم محمد الأمين الطلبة: مستويات اللغة في السرد العربي المعاصر – ص:10.
- ¹⁰- عبد الحميد عقار: الرواية المغربية - ص: 29.
- ¹¹ - مص.ن - ص: 26.
- 12-Mouton éditeur-Lahaye-Paris-New " Wladimir Kryszinski:Carrefours de signes essais sur le roman moderne - york -1981-p:81
- ¹³- ينظر عبد الحميد عقار: الرواية المغربية- ص: 6.
- ¹⁴- محمد القاضي: في حوارية الرواية - ص: 5.
- ¹⁵ - مص.ن - ص: 111-112.
- ¹⁶- مص.ن - ص: 219.
- ¹⁷- ينظر تيزفيتان تودوروف: ميخائيل باختين " المبدأ الحوارية " – ترجمة: فخري صالح - ص: 166.
- ¹⁸ - محمد سالم محمد الأمين الطلبة: مستويات اللغة في السرد العربي المعاصر - ص: 101.
- ¹⁹ - عبد الحميد عقار: الرواية المغربية- ص: 29، 30.
- ²⁰- تيزفيتان تودوروف: الشعرية- ترجمة: شكري المبخوت ورجاء بن سلامة- دار توبقال للنشر - الدار البيضاء -المغرب - ط 2 – 1990- ص: 23.
- ²¹ - ميخائيل باختين: الماركسية وفلسفة اللغة – ترجمة: محمد البكري ويمى العيد - دار توبقال للنشر – المغرب- ط.1- 1986- ص: 134.
- ²²-جيرار جينيت: مدخل لجامع النص - ترجمة : عبد الرحمن أيوب- دار الشؤون الثقافية العامة آفاق عربية - العراق - د. ط – د.ت - ص: 5.
- ²³ - عبد الحميد عقار: الرواية المغربية - ص: 98.
- ²⁴ - محمد القاضي: في حوارية الرواية- ص: 112.
- ²⁵ - مص.ن - ص: 112.
- ²⁶ - صبري حافظ: أفق الخطاب النقدي "دراسات نظرية وقراءات تطبيقية" - دار شرقيات للنشر والتوزيع - القاهرة- ط. 1- 1996 - ص: 60.
- ²⁷ - محمد سالم محمد الأمين الطلبة: مستويات اللغة في السرد العربي المعاصر - ص: 7.
- ²⁸ - مص.ن - ص: 7.
- ²⁹- مص.ن - ص: 11.
- ³⁰ - مص.ن – ص: 21.
- ³¹- مص.ن – ص: 24.